قصة قصيرة

البعوضة

سامية عطعوط

حصل مع صديقي خلال الأسبوع الماضي ما سبق وأن أصاب «النمرود». كنا نجلس في منزله نرشف بقايا كؤوسنا عندما اقتربت منه بعوضة تافهة، وحطت على وجهه.

حاول أن يبعدها بحركة من يده. مما اضطرها للاحتماء بأحد منخريه هرباً. وما هي إلاّ ثوان حتى أصاب صديقي مسّ من الجنون. صرخ بصوت مرتفع، وحاول أن يشرح لنا ما يلم به. فهمت ما معناه أن صوت أزيزها يدوي في رأسه كطبل في يد طفل. تذكرت على الفور ما اعتاد أن يفعله صفوة «النمرود». كانوا يضربونه على وجهه بأحذيتهم كلما طنّت بعوضته كي تهدأ الملعونة أو تموت.

ودون أن أفكر أو أتواني، خلعت نعلي على الفور. كان طينياً من الشتاء، لكن صديقي رغم حبه للنظافة لم يهتم. تناولت الحذاء، وبدأت أضربه على وجهه بكل ما أوتيت من قوة إلى أن ماتت بعوضتنا. أو هكذا توقعت. ولكن لم أكد أعود إلى مقعدي حتى عاد صديقي للصراخ، فعدت إلى ضربه من جديد، وقد أنهكني التعب. وحلاً للإشكال استدعيت جارة لنا تعيش في الشقة المقابلة. شرحت لها الموضوع، وطلبت معونتها لأنني خشيت أن ينتهي صديقي إلى ما انتهى إليه «النمرود». لكنها والحمد لله طمأنتني. انضمت إلينا بعد أن أحضرت عدة موديلات من أحذيتها الملونة لتساهم معي بضربه.

في البداية عملت بجهد. حتى هدأت البعوضة وأغمي على صديقي. لم أكتم سروري عندما رأيته ملقى على الكنبة، لأن إغماءته ستوفر لنا قسطاً من الراحة. جلست وإياها نفكر بحل يخلصه من مأزقه فلم نجد. لذلك قررنا أن نعالجه بطريقة عملية، رغم أن هذا قد يعني قطع أنفه، وتشويه وجهه الجذاب. قامت جارتنا واتصلت بالاسعاف. ولمعرفتي بأنهم يتأخرون عن موعدهم كثيراً استدعيت جارينا اللذين يقطنان في الدور الأعلى. شرحت لهما الوضع مجدداً، وكانا متعاطفين. حمل كل منهما حذاءه وساهم معنا بتهدئة صديقي. صرنا أربعتنا نتناوب على ضربه، وكلما هدأت البعوضة أغمي على صديقي من جديد، فلا يصحو إلا على طنينها. بقينا كذلك حتى منتصف الليل. وفجأة أحسَّتْ جارتنا وكأن بعوضة تعبث داخل أنفها. فبدأت تصرخ وتشد شعرها وتكتم أنفاسها. وبعد لحظات غادرتنا وهي تضرب نفسها بحذائها الأحمر. استغربت ما حدث لكنني لم أعره انتباهاً إلا عندما بدأ جاراي بالصراخ وغادراني وهما يلعنان صديقي ويشتمانني.

وفجأة أدركت أن من يراه يشعر بالبعوضة تطن في رأسه. إلا أنا. وكلما انتابني هذا الإحساس قاومته بشدة، وضاعفت من ضرباتي على وجه صديقي. وإذ وصلت سيارة الإسعاف نقلته إلى المستشفى لكنه توفي في الطريق. عدت إلى البيت متعباً هرماً، ولم أكد أرى الأحذية ملقاة على الأرض أمامي حتى أحسست بشيء يتحرك في داخلي، وطنين يضرب على أعصابي. لم أعرف هل ما كان يطن في رأسي بعوضة أم طيف لها، ولكنني رغماً عني، أمسكت حذائي بيدي وهويت به على وجهي بشدة..... لأهدأ.